

قصص الأئمّة

عليه السلام

عليه السلام (2)

يكلّم الناس في المهد

بتلّم : أ. عبد الرحيم عبد المقصود

رسوم : أ. عبد الشافى سيد

(شراكة) : أ. حمدى مصطفى

51





وَضَعَتِ السَّيْدَةُ مَرِيمٌ مَوْلُودَهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْتَ
النَّخْلَةِ الَّتِي أَمْرَتْ بِأَنْ تَأْكُلَ مِنْ رُطْبَهَا الشَّهِيْرِ ، وَأَنْ
تَشْرَبَ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أَجْرَاهُ اللَّهُ تَحْتَهَا ..

ثُمَّ حَمَلَتِ السَّيْدَةُ مَرِيمٌ وَلِيْدَهَا ، وَسَارَتْ
بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَلَمَّا رَأَهَا قَوْمُهَا
مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَهِيَ تَحْمِلُهُ تَعْجَبُوا ،

وَقَالُوا لَهَا :

﴿ يَا مَرِيمُ ، لَقَدْ جَئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ
مَا كَانَ أَبُوكَ امْرًا سَوْءٌ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا * ﴾

[سورة مریم : ٢٧، ٢٨]

اتَّهمُوهَا بِأَنَّهَا أَتَتْ بِفَعْلٍ مُنْكَرٍ .. وَبِخُوْهَا وَعَنْفُوها
لأنَّهَا مِنْ بَيْتِ صَالِحٍ ، فَكِيفَ تَأْتِي بِهَذَا الْفَعْلِ الشَّائِنِ ؟ !
فَقَدْ كَانَ أَبُوهَا عُمَرَانُ قَمَّةً فِي التَّقْوَى وَالصَّالِحِ ،
وَكَانَ إِمَامًا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي صَلَاتِهِمْ ، وَأُمُّهَا سَيِّدَةُ
فَاضْلَالَةٍ تَقِيَّةٌ ، فَكِيفَ تَكُونُ هِيَ بِهَذِهِ الدَّرْجَةِ مِنْ سُوءِ
السُّلُوكِ وَالْأَخْلَاقِ ! ?

وَهَكَذَا رَاحُوا يُوجِّهُونَ لَهَا الْإِتْهَامَاتِ ، وَلَمْ تَرُدْ
عَلَيْهِمْ مَرِيمُ ، أَوْ تُنْطِقْ بِكَلْمَةٍ وَاحِدَةٍ ، دَفَاعًا عَنْ
نَفْسِهَا مِنْ هَذِهِ الْإِتْهَامَاتِ الْبَاطِلَةِ ، بَلْ أَشَارَتْ إِلَى
وَلِيْدَهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَفْهَمَتْهُمْ أَنْ يُكَلِّمُوهُ ..
تَعْجَبُ الْحَاضِرُونَ ، وَاسْتَنْكِرُوا أَنْ يُكَلِّمُوا طَفْلًا

رَضِيعًا ، وَقَالُوا لِمَرِيمَ :

«كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا؟!» .

وَفِي الْحَالِ تَكَلَّمُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِلاً :

«إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ، آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا *
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ، وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبِرًا بِوَالدَّتِي، وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمِ وُلْدَتُ، وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبَعْثَرُ حَيًّا *». [سورة مريم : من ٣٠ - ٣٣]

هَكَذَا شَهِدَ النَّاسُ، وَشَهِدَ كَهْنَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ
الْمُعْجِزَةُ، وَهِيَ تَقْعُدُ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ، وَسَمِعُوهَا بِآذَانِهِمْ ..
مُعْجِزَةُ الطَّفْلِ الَّذِي تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ، وَشَهِدَ لِأَمَهِ
بِالْبَرَاءَةِ مَا اتَّهَمُوهَا بِهِ ظُلْمًا وَعُدُوانًا ..

وَكَانَ أَوَّلُ كَلَامٍ تَفَوَّهَ بِهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ اعْتَرَفَ
بِالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ (تَعَالَى)، وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ وَخَالِقُهُ، فَنَزَّهَ
اللَّهُ عَنْ قَوْلِ الظَّالِمِينَ مِنْ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، وَبِرًا أَمَهُ مَا
رَمَوْهَا بِهِ مِنْ فَعْلٍ مُنْكَرٍ .. وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ

اللَّهُ (تَعَالَى) قَدْ أَتَاهُ الْكِتَابَ ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا ،
وَجَعَلَهُ مُبَارِكًا أَيْنَمَا كَانَ ، وَأَوْصَاهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ..
الصَّلَاةُ لِلَّهِ (تَعَالَى) ، وَالإِحْسَانُ إِلَى عَبَادِهِ بِالزَّكَاةِ ..
وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ (تَعَالَى) بَرًّا بِوَالِدَتِهِ وَمُحْسِنًا إِلَيْهَا ،
وَمُطِيعًا غَيْرَ عَاقٍ وَلَا عَاصٍ لَهَا ..

كَمَا لَمْ يَجْعَلْهُ سُبْحَانَهُ جَبَارًا شَقِيًّا ، أَيْ أَنَّهُ لَيْسَ
فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ ، وَلَا يَصُدُّ مِنْهُ قَوْلًا أَوْ فَعْلًا يُنَافِي
أَمْرَ اللَّهِ (تَعَالَى) ..

وَقَدْ سَلَمَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَفْسِهِ ، فِي يَوْمِ مَوْلِدِهِ ،
وَيَوْمِ مَمَاتَهِ ، وَيَوْمِ يَبْعَثُهُ اللَّهُ (تَعَالَى) حَيًّا ، فِي الْآخِرَةِ ..
هَذَا هُوَ عِيسَى بْنُ مَرِيمٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ
بِكَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَالَّذِي تَحْطَمَتِ الْأَصْنَامُ
يَوْمَ مَوْلِدِهِ ، فَحَارَتِ الشَّيَاطِينُ فِي سَبَبِ ذَلِكَ ، حَتَّى
كَشَفَ لَهُمْ إِبْلِيسُ الْكَبِيرُ أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرِيمٍ قَدْ وُلِدَ ،
فَلَمَّا بَحْثُوا عَنْهُ وَجَدُوهُ فِي حِجْرٍ أَمْهَ ..

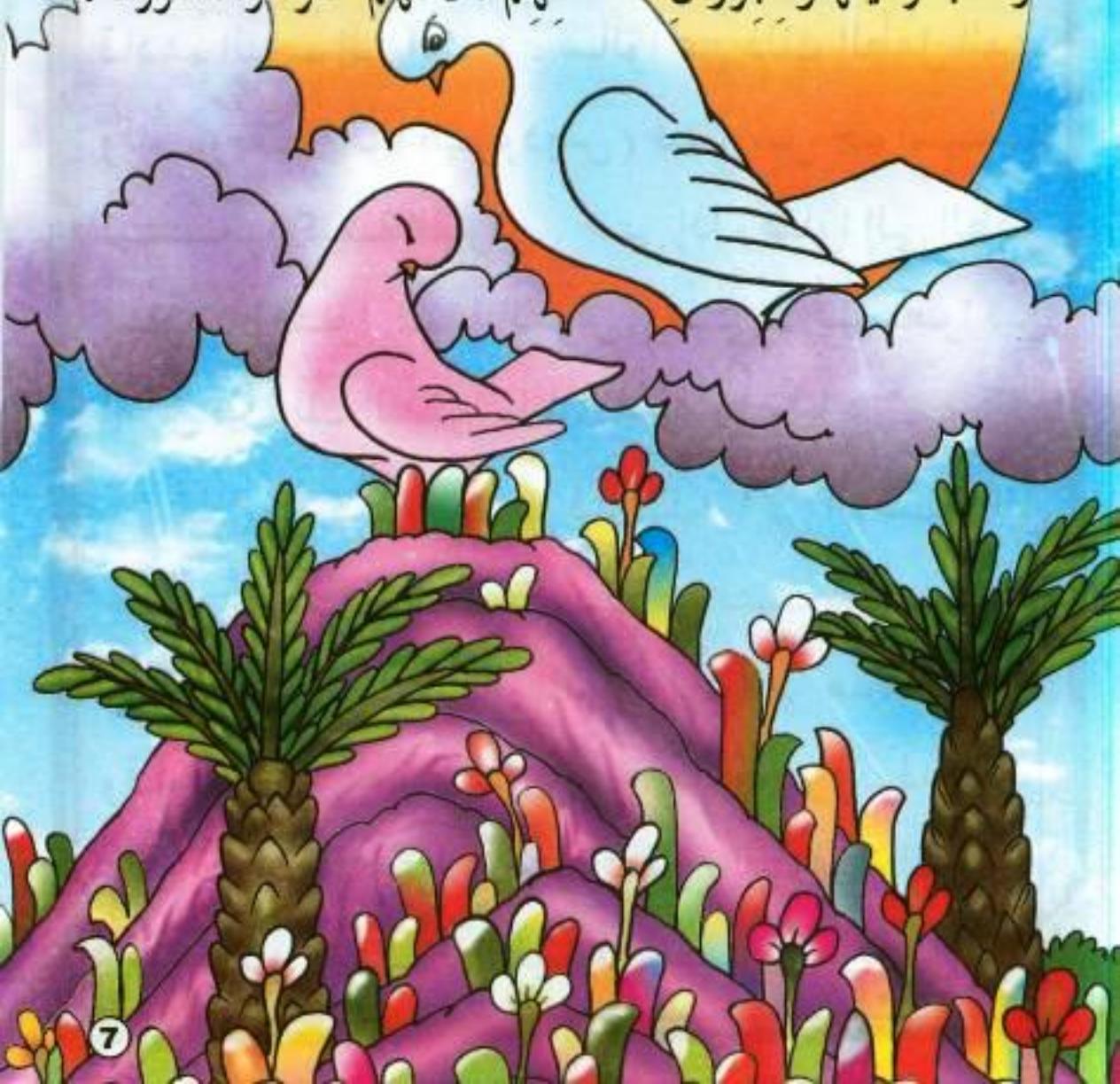
ويقال : إنَّ يَوْمَ مَوْلَدِهِ ظَهَرَ نَجْمٌ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ ، وَأَنَّ مَلَكَ الْفُرْسَ قدْ أَشْفَقَ مِنْ ظُهُورِ هَذَا النَّجْمِ ، فَسَأَلَ الْكَاهِنَةَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ هَذَا النَّجْمَ لَا يَظْهُرُ إِلَّا مَوْلَدٌ عَظِيمٌ فِي الْأَرْضِ ..

ويقال إنَّ مَلَكَ الْفُرْسَ قدْ أَرْسَلَ ثَلَاثَةَ مِنَ الْكَاهِنَةِ مُحَمَّلِينَ بِالْهَدَايَا لِلْطَّفْلِ وَأَمَّهِ ، وَإِنَّهُمْ سَارُوا وَرَاءَ النَّجْمِ يَتَبَعَّونَ أَثْرَهُ لِيَقُودُهُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَادُوهُمُ النَّجْمُ إِلَى الشَّامِ ..

وَقَدْ كَانَتِ الشَّامُ وَفَلَسْطِينُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَحْتَ حُكْمِ الرُّومَانِ .. وَكَانَ يَحْكُمُ الشَّامَ وَفَلَسْطِينَ مَلَكٌ يُسَمَّى (هِيرُودُوسَ) ، وَكَانَ مَلَكًا طَاغِيًّا جَبَارًا .. فَلَمَّا عَلِمَ مِنْ جُوَاسِيسِهِ أَنَّ طَفْلًا قَدْ وُلِدَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَأَنَّ هَذَا الطَّفْلُ قَدْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، وَقَالَ إِنَّهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ عَلَى يَدِيهِ سُوفَ يَكُونُ خَلاصُ شَعْبِ الْيَهُودِ ، غَضَبَ غَضَبًا شَدِيدًا ..

ويقال إنَّ (هِيرُودُوسَ) قدْ اسْتَدْعَى كَاهِنَةَ

الْيَهُودُ ، مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَسَأَلُوهُمْ عَنْ ذَلِكَ الطَّفْلِ
النَّبِيُّ الَّذِي تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، فَأَنْكَرَ كَهْنَةُ الْيَهُودِ ذَلِكَ ،
بِرَغْمِ أَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْا الطَّفْلَ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ وَشَاهَدُوا
مُعْجَزَتَهُ ، لِأَنَّ هَذَا النَّبِيُّ الْقَادِمُ ، كَانَ يُهَدِّدُ كَهْنَةً
وَأَحْبَارَ الْيَهُودِ بِزِوالِ سُلْطَانِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ حَرَفُوا التُّورَاةَ ،



وَزِيَفُوهَا حَسْبَ أَهْوَائِهِمْ وَأَغْرِاصِهِمْ ..

وَلَمْ يَكْتُفِ كَهْنَةُ الْيَهُودِ وَأَحْبَارُهُمْ بِإِنْكَارِ مُعْجَزَةِ
الْطَّفْلِ النَّبِيِّ الَّذِي تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، بَلْ اتَّهَمُوا أُمَّهَ
ظُلْمًا وَبُهْتَانًا ..

وَيُقَالُ إِنَّ كَهْنَةَ الْفَرْسِ الْمُحَمَّلِينَ بِالْهَدَايَا لِمَا
قَادَهُمُ النَّجْمُ إِلَى الشَّامِ ، سَأَلُوا عَنْ ذَلِكَ الْطَّفْلِ الَّذِي
وُلِدَ ، وَيُقَالُ إِنَّ (هِيرُودُوس) قَدْ أَرْسَلَ جَوَاسِيسَهُ
لِيَتَبَعُوا كَهْنَةَ الْفَرْسِ ، حَتَّى إِذَا وَصَلُوا إِلَى الْطَّفْلِ
قَتَلُوهُ ، وَقَتَلُوا كَهْنَةَ الْفَرْسِ ، حَتَّى لَا يُشَيِّعوا بَيْنَ
النَّاسِ نَبَأَ ذَلِكَ الْطَّفْلِ ، الَّذِي سِيَصِيرُ نَبِيًّا ..

وَيُقَالُ إِنَّ كَهْنَةَ الْفَرْسِ قَدْ فَشَلُوا فِي الْوُصُولِ إِلَى
عِيسَى وَأُمِّهِ ، وَإِنَّ (هِيرُودُوس) قَدْ غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا
وَأَمْرَ بِقَتْلِ كُلِّ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ..
وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَى مَرِيمَ مَنْ يَأْمُرُهَا بِالْهِجْرَةِ بِوَلَدِهَا إِلَى
مَصْرَ ، حَتَّى لَا يَقْتَلَهُ (هِيرُودُوس) الطَّاغِيَةُ الظَّالِمُ ..

هَاجَرَتْ مَرِيمَ بِطَفْلِهَا إِلَى مَصْرَ ، هَرَبًا مِنْ



ظلم (هِيروُدُوس)، وبقيت هناك حتى بلغ عيسى عليه السلام اثنى عشر عاماً ..

وهناك ظهرت على عيسى كرامات ومعجزات .. فقد نزلت مريم بابنها عند رجل صالح، كان قد جعل داره الواسعة مأوى وسكنى للضعفاء والفقراة والمساكين والمحاجين ..

وذات يوم صاع من صاحب الدار مبلغ كبير من المال، بحث عنه طويلاً فلم يجده، ولم يدر من سرقه، وحزن صاحب البيت، وحزنت مريم من أجل ضياع المال، فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك توجه إلى رجل أعمى وأخر كسيح من سكان الدار، وقال للأعمى :

- احمل هذا الكسيح وانهض به ..

فقال الأعمى :

- لا أستطيع ..

قال عيسى عليه السلام :

- بل تستطيع ، كما فعلت ذلك أنت وهو ، حين
أخذتما المال من تلك الكووة من الدار ..

فلم يستطع الأعمى والكسيح إنكار أنهما سرقا
المال ، وأحضراه على الفور ..

ومن ذلك اليوم اشتهرت كرامات عيسى ، وعظم
أمره بين الناس ، وهو لم يزل صغيراً جداً ..

ومن معجزات عيسى عليه السلام في تلك الفترة ، أن
صاحب الدار قد أقام حفلاً ، فاجتمع عنده ناس
كثيرون ، فأطعمهم ، ثم أراد أن يسقيهم شراباً ، فلم
يجد في جراره شيئاً من الشراب ، فعز عليه ذلك
وأحزنه .. فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك ، نهض وأخذ
يمرا على تلك الجرار ، ويد يده ، فيلمس فوهة
كل جرة ، فلا يلمس جرة إلا وقتل بالشراب عن
آخرها ، حتى امتلأت كل الجرار ، فشرب الناس
جميعاً ، وزاد الشراب عن حاجتهم ..

فَعَظَمُوا عِيسَى ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّهِ
أَمْوَالًا كثيرة ، لِكَنَّهُمَا رَفَضَا أَخْذَ شَيْءٍ ..

وَلَمَّا ماتَ الطَّاغِيَةُ (هِيَرُودُوسُ) ، وَأَمِنَ النَّاسُ شَرَهٌ ،
عَادَتْ مَرِيمٌ وَابْنَهَا عِيسَى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَكَانَ
عُمْرَهُ وَقْتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا ..

عَادَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيُنَشِّرَ الرَّحْمَةَ وَالْعَدْلَ وَالْخَيْرَ
بَيْنَ الْضُّعِيفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَظْلُومِينَ ..
وَمَرَّتْ سَنَوَاتٌ وَسَنَوَاتٌ ..

وَكَبَرَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى صَارَ شَابًا ..

وَخَلَالَ هَذِهِ السَّنَوَاتِ ، كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ دَائِمًّا
التَّعْبُدِ لِلَّهِ ، دَائِمًّا التَّأْمُلِ فِي مَلْكُوتِهِ ..

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يَرَى الظُّلْمَ فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلَى أَرْضِهِ ،
وَيَرَى الْمَلَائِكَةَ مِنَ الْمَظْلُومِينَ وَالْمُضْطَهَدِينَ .. لَيْسَ
الْمَظْلُومُونَ عَلَى أَيْدِي الْحُكَمَاءِ وَالْمُلُوكِ فَقَطْ ، وَلَكِنْ
أَيْضًا الْمَظْلُومُونَ بِأَيْدِي الْكَهْنَةِ وَالْأَحْبَارِ وَرِجَالِ
الدِّينِ ، الَّذِينَ أَغْرَاهُمْ بِرِيقِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ،



فَأَثْرَوْا ثِرَاءً رَهِيبًا مِنَ الْتِجَارِ فِي الدِّينِ ،

وَبَيْعُ الْغُفْرَانِ لِلنَّاسِ نَظِيرَ نَقُودِهِمْ ..

رَأَى عِيسَى عَلَيْهِ الْكَلَامُ رِجَالَ الدِّينِ وَهُمْ يَخْتَالُونَ فِي
أَرْدِيَّتِهِمْ وَمَلَابِسِهِمُ الْمُزَخْرَفَةُ بِخِيوطِ الْذَّهَبِ ، بَيْنَمَا
الْفُقَرَاءُ مِنَ الشَّعْبِ لَا يَجِدُونَ رَغِيفَ خُبْزٍ يَأْكُلُونَهُ ..

وَرَأَى عِيسَى عَلَيْهِ الْكَلَامُ آلَافَ الْقُيُودِ وَالْتَّحْرِيمَاتِ التِي
وَضَعَهَا الْكَهْنَةُ وَرِجَالُ الدِّينِ عَلَى حَيَاةِ النَّاسِ ، وَالَّتِي
مَا أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيائِهِ ، خَاصَّةً التَّحْرِيمَاتِ
الَّتِي وَضَعُوهَا عَلَى يَوْمِ السَّبْتِ .. حَرَامٌ قَطْفُ الثُّمَارِ
يَوْمَ السَّبْتِ .. حَرَامٌ الزَّرْعُ أَوُ الْحَصَادُ يَوْمَ السَّبْتِ ..
حَرَامٌ الْحَرْبُ أَوُ الدُّفَاعُ عَنِ النَّفْسِ يَوْمَ السَّبْتِ .. حَرَامٌ
نَقْلُ شَيْءٍ مِنْ خَارِجِ الْمَنْزِلِ إِلَى دَاخِلِهِ يَوْمَ السَّبْتِ ..
حَرَامٌ السُّفُرُ لِمَسَافَةٍ أَبْعَدَ مِنْ أَلْفِيْ يَارَدَةٍ يَوْمَ السَّبْتِ ..
وَغَيْرُهَا آلَافُ مِنَ التَّحْرِيمَاتِ ، التِي وَضَعَهَا الْكَهْنَةُ ،
وَالَّتِي تَحَايَلُوا هُمْ عَلَيْهَا ، وَتَرَكُوا النَّاسَ يُعَانِونَ
وَيُلَاتُهَا ..

ووسط هذا الجو المشحون بالظلم والآلم
للبُسطاء من الناس ، المشحون بالذهب و الرفاهية
والشراء للكهنة ورجال الدين ، توفى نبياً



كَرِيمَانْ أَنْتَنِي اللَّهُ (تعالَى) عَلَيْهِمَا ، هُمَا
نَبِيُّ اللَّهِ زَكَرِيَا ، وَابْنُهُ يَحْيَى (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ..

قُتِلَ النَّبِيُّانُ الْكَرِيمَانُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، اغْتَالَتْهُمَا
السُّلْطَةُ الْحَاكِمَةُ ..

وَفِي نَفْسِ الْلَّيْلَةِ بُعِثَّ نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِلَى النَّاسِ ..

(يَتَّبِعُ)

الكتاب التالي
عيسى عليه السلام (3)
الرسالة
احرص على اقتناه

رقم الإبداع : ٧٤٠٦

الترقيم الدولي : ٢٦٦ - ٦٠٣ - ٩٧٧